بعض محاولات عزل المجتمعات السعودية والخليجية مرتبط بكره العرب والمسلمين وليس بنبذ التعصب:

النقد السياسي العربي بين الموضوعية والاستلاب

محمد شاويش*

أ. النقد الموضوعي، النقد المطابق:

ينبثق «النقد» في التجربة الفردية من شعور الفرد بالاحباط عندما يخفق في تحقيق هدف من أهدافه، وفي هذه الحالة لا بد له من أن يحمّل شيئاً أو انساناً مسؤولية اخفاقه، والمعتاد كثيراً أن يحمّل الفرد المسؤولية لأشياء أو بشر آخرين ولا يحملها لنفسه، لكننا نراهن على أن تربية اجتماعية ملائمة قد تعطينا أفراداً قادرين على النقد الذاتي. والمشاهد في مجتمعنا أن النقد الذاتي شيء نادر جداً، بحيث أننا يمكن أن نعده موهبة نادرة هي أقل انتشاراً من موهبة الرسم أو الموسيقى أو الشعر أو موهبة الاختراع في الميادين العلمية والتقنية.

لأقل مباشرة أن النقد الذاتي عندنا هو شيء أساسي جداً لا نستغني عنه أفراداً ومؤسسات، لكن المسألة لا تنتهي بتقرير هذه الحقيقة العملية التي قد يتوقف عليها بدون مبالغة بقاء الوجود العربي كله، اذ ليس من الواجب أن نرحب بكل «نقد ذاتي»، ذلك أن النقد الذاتي، مثله مثل أي نقد عموماً قد يكون موضوعياً وقد لا يكون، وفي الحالة التي لا يكون فيها النقد موضوعياً من الممكن أن يكون ضاراً جداً، وفي بعض الحالات يلزمنا أن نعرف السياق الذي يأتي فيه لنحدد وضع هذا النقد الذاتي من الموضوعية ومن الفائدة.

النقد الذاتي مثل أي نقد يمكن أن يستند الى معايير عملية (تتعلق بالأفعال ونتائجها العملية) ويمكن أن يستند الى معايير أخلاقية (أي الى منظومة أخلاقية محددة)، ومن المألوف في المسائل السياسية أن يختلط النوعان من المعايير، فنحكم على فعل سياسي ما من منظور أخلاقي ومن منظور نتائجه العملية أيضاً. ولا شك أن الأيديولوجيات الموجودة في المجتمع تقوم بوظيفة «التعيين» كما سميتها ذات مرة في مقال عن «سيكولوجيا الأيديولوجيا»، وأعني بهذه الوظيفة أن الأيديولوجيا «تعيّن» (لأتباعها طبعاً) ما هو «خير» وما هو «شر»، والنتيجة العاطفية لذلك أنها تحدد متى يغضبون ومتى يحزنون، وعلى أساس البناء الفكري الأيديولوجي أيضاً يفرح المناصر لأحداث ويحبط من أخرى والى آخره، والأيديولوجيات المتناقضة تنتج عنها عواطف متناقضة تجاه الحدث الواحد، فموت عبد الناصر كان كارثة للقوميين (وكانوا أكثرية العرب آنذاك) ولكنه كان خبراً سارا للاخوان. وقس على ذلك، والنقد الذاتي عند مناصري أيديولوجيتين متناقضتين نتوقع أن يسير في اتجاهين متناقضين، فيلوم واحد منهما نفسه لأنه يفعل شيئاً بينما يلوم نقيضه نفسه لأنه لا يفعله، ولو ظللنا في النطاق النظري المحض لظننا أن المجتمع لا يمكن أن يصل الى اجماع على توجه نظراً لتناقض الأيديولوجيات فيه، ولكن الواقع لحسن الحظ يتضمن كثيراً من الأهداف والأحكام القيمية التي يجمع عليها أفراد المجتمع أو يكادون يجمعون، فثمة ما يشبه الاجماع في مجتمعنا على ضرورة التخلص من التفاوت في التطور التقني والعلمي، وفي الغنى الاقتصادي بيننا وبين الغرب.

الموضوعية في النقد تعني بناءه على معايير غير ذاتية، تجعله قابلاً للتقييم، والنقد غير الموضوعي هو على العكس ينبني على معايير متغيرة بحسب المصالح أو الأمزجة بحيث لا يكون منسجماً ولا ينضبط في اطار يجعلنا نستطيع الحكم عليه بالصواب أو الخطأ.

اذا أردنا أن نصوغ نموذجاً نظرياً أقترح أن نقول ان ثمة هدفاً معيناً يحدده المجتمع لنفسه في زمن معين، وينطلق نقده لذاته من منظور موقع العناصر المنقودة في مسار المجتمع المتوجه نحو هذا الهدف، فيحكم على هذه العناصر انطلاقاً من تأثيرها على حركة المجتمع في هذا المسار. وفي مكان آخر كنت اقترحت استعارة مفهوم «الوعي المطابق» لنصف به ذلك الوعي الملائم لمسعى مجتمعنا لتجاوز حالة الانحطاط التي تجعله ضعيفاً مهزوماً متأخراً عن ركب البلدان القوية الحضاري، والنقد الذاتي المطلوب يجب أن يشتق في رأيي من هذا الهدف أيضاً وينبني على «الوعي المطابق» فيكون هو «النقد المطابق».

انه ذلك النقد الذي يتناول تموضع العناصر الاجتماعية المنقودة في سياق الكفاح العربي لتحقيق هدف التخلص من الوضع الدوني الذي تشغله مجتمعاتنا حيال البلدان القوية القائدة للحضارة في العالم: هل هي متموضعة بحيث تشكل عائقاً أمام تحقيق هذا الهدف أم تشكل محفزاً ومشجعاً له؟

ب. النقد المَرَضي، النقد الاستلابي:

ومن أنواع النقد غير الموضوعي نوع «مرضي» (بفتح الميم والراء)، لأنه لا النقد صحي دوماً ولا النقد الذاتي، فكلاهما يمكن في حالة معينة تحليله على أنه نتاج استلابي، وأعيد القارئ الى كتابات قديمة لي في «نظرية الاستلاب» نشرتها في كتاب مشترك مع الدكتور حسين شاويش، وما أريد أن أستشهد به هنا هو تحليل موقف الاحتقار من الذات أو من الآخرين، وهو موقف أرى فيه في بعده العميق محاولة للتملص من الوضع الدوني كما تحدد عبر منظومة مرجعية استلابية مسيطرة، والاحتقار هو محاولة لنفي الانتماء الى الأدنى عبر نبذه (باظهار الاشمئزاز منه)، وطبيعته الوجدانية المرافقة (طبيعته العاطفية) تتجلى بأشكال تصل الى العنف اللفظي أو الجسدي، وكثير من كتابات «النقد الذاتي» العربية يتجلى فيها بوضوح هذا الانفعال الاستلابي المصدر، فاحتقار المجتمع المحلي ونبذه يتمان على أساس مرجع المنظومة الاستلابية المسيطرة المستبطن (مثلاً نموذج المجتمع الفرنسي كما يتصوره ياسين الحافظ)، ونقاط الاختلاف مع هذا التصور المستبطن للمرجع الاستلابي تعامل على أنها «أدلة» تعطي الحق للذات باحتقار من نحتقره، ويمكن للنظر الدقيق أن يرى أن «عقلانية» النقد هنا هي بالفعل غائبة، اذ لا ينتبه الناقد حتى الى ضرورة البرهنة على أن «تفوق» المرجع و«دونية» نقيضه المحتقر (بفتح القاف) مرتبطة ارتباطاً ضرورياً بهذه السمات المميزة للموضوع الأدنى، ففي هذا النقد الاستلابي الذي هو فعل لفظي يحركه «دافع استلابي طبقي» نلاحظ ما أدعوه «ظاهرة التلوين»، فالحكم العاطفي على الموضوع «يتلون» بسمات الموضوع الخارجية التي قد لا تكون لها صلة منطقية بالمضمون الظاهر للحكم، (أي بدوافعه المعلنة أو التي يعيها صاحبها)، فالمواقف السياسية لحكام أنظمة الخليج مثلاً لا علاقة لها بكونهم ينطقون بلهجة بدوية! ولكن المشاهد أن هذه اللهجة أو ما وراءها من أصول بدوية مفترضة توضع كأنها «سبب» للمواقف ومبرر بالتالي للموقف الاحتقاري منها، ولعلنا نذكر في سياق مختلف قليلاً هجوم الشيخ محمد الغزالي على «الفقه الصحراوي»، وأنا شخصياً أعطيه الحق بضيقه بوجهات النظر الفقهية المتنطعة المتعصبة البعيدة كل البعد عن العالم والعصر الموجودة عند أوساط معينة في السعودية والخليج، ولكني لا أرى لوجهات النظر هذه علاقة ضرورية بالصحراء أو بالبدو، وبالعكس، فالحجاب المتعسف للمرأة مثلاً كان في بلادنا سمة للمدن وليس للريف ولا للصحراء! ولتفسير ذلك في اعتقادي تجب العودة الى الظروف التاريخية الملموسة لنشوء هذه المدرسة الدينية التي تتميز في اعتقادي بميلها الى أشد الفتاوى تعسيراً، لا الاكتفاء باحتقار هذه الحالات، وجعل سبب وجودها الوحيد «تخلف» أصحابها!، اذن «تلوين» الفقه المحتقر بالصحراء والبدو تحول استلابي في النقد.

هذا التحول التلويني الاستلابي وخيم العواقب ومن واجبنا الانتباه اليه ونقده بكل دقة وصرامة، وعدم السكوت عليه.

ان نقد المجتمعات العربية الأخرى كثيراً ما لا يتم على أساس صحي وسأضرب الآن مثالاً أراه مهماً جداً وراهناً.

لدينا هذه المصيبة الكبيرة التي هي الطائفية، وبالذات الطائفية بين السنة والشيعة، وعند كل من الفريقين أوساط متعصبة لا تمانع في اغراق المجتمع بالدم وتحويل العلاقات بين الجيران وأبناء الوطن الواحد الى علاقات عدائية تجعل المذابح الطائفية والتقسيم السياسي أمراً حتمياً يبدو أحياناً قدرياً.

تتمتع الطائفية «الشيعية» بخبرة تاريخية تجعلها تمارس أفعالها (وجرائمها التي لا تقل اجراماً عن نظيرتها السنية في الحالة العراقية) بصمت بلا اعلانات نظرية تذكر ولا بيانات تلفزيونية، أما الطائفية «السنية» فعلى العكس من ذلك، هي طائفية معلنة بالبيانات والأشرطة التلفزيونية، تتباهى بجرائمها ومذابحها وتنظّر لها بكل وقاحة وبانعدام مطلق لأي وازع أو خجل.

في الموقف من هذه الطائفية المنتسبة الى السنة هناك موقفان شائعان كل منهما هو بحد ذاته مصيبة كبرى تدلنا على مدة عدم ملاءمة الوعي عندنا لأهداف النهضة المرجوة، وكيف يمكن أن نعد غياب الوعي سبباً لانحطاطنا القائم وعاملاً على اندفاعنا في طريق منحدر يقود الى درجات أكثر انحطاطاً بعد مما نحن فيه.

الموقف الأول هو الصمت عن الجرائم الطائفية التي يرتكبها مجرمون يحبون أن يسموا أنفسهم «أهل السنة والجماعة» زوراً وبهتاناً، اذ هم أقلية في الأكثرية السنية تتميز بتكفير العالم كله، وأول من تكفرهم أغلبية أهل السنة (مثلاً لأنهم: «قبوريون»، «صوفيون»، «أشاعرة وماتريدية»، الى آخر هذه الأفكار الثابتة التي ظلت ردحاً طويلاً تغذى بها عقول التلاميذ الصغار في بعض بلدان الخليج، والتي انتقلت بعد انقلاب بعض الشباب على قياداتهم الدينية والسياسية الى بلدان عربية واسلامية كثيرة لتنبني على أساسها حركات عنيفة مفرطة في الغلو والشراسة)، هذا الصمت يتم بدعوى أن هؤلاء «مقاومة» تقاوم الأمريكان في العراق.

كثير من الاستسلام خير من هذا النوع من المقاومة! لن يفيدنا في شيء «مقاوم» يضع في «برنامجه» ابادة الشيعة، بل موقفه الفعلي هو أكثر المواقع اجراماً: الموقع الذي ينفذ فيه مخطط التقسيم الطائفي بدعوى مقاومة الاحتلال.

مع الأسف ثمة تقصير من الطرفين في ادانة الطائفيين، ومن المحزن سكوت شيعة ذوي اعتبار ومصداقية عند المسلمين كلهم عن الادانة الواضحة للطائفيين الشيعة، ومن هؤلاء مثلاً «حسين فضل الله» وأهل المصداقية العالية في لبنان.

وثمة تقصير فادح في أوساط علماء السنة الذين يكتفون بادانة الجرائم الطائفية دون تسليط الانتباه والضوء على القاعدة التكفيرية التي ينطلق منها هؤلاء: انها هذا المبدأ الوخيم الذي استمر لسنين طويلة يعلّم في مدارس الخليج والسعودية، وكان آنذاك يستعمل أيديولوجياً كجزء كفاحي ولكنه نظري بحت من الأيديولوجيا التاريخية التي شرعنت لقيام الدولة السعودية وهي الأيديولوجيا الوهابية. هذا المبدأ هو الذي يسمونه «مبدأ الولاء والبراء»، ويعني في الحقيقة أن كراهية كل من هو ليس من «الفرقة الناجية» واجب ديني، وفكرة «الفرقة الناجية» هي في الحقيقة ليست بعيدة عن فكرة «الشعب المختار»، وعلى أساسها يتوجب كره العالم كله باستثناء هذه الأقلية التي تسير على هدى ما يزعمونه «مبادئ السلف» كما تتحدد من خلال التأويلات الحديثة لبعض مبادئ ابن تيمية (وهي تأويلات ضيقة الأفق بعيدة كل البعد عن الاحاطة بمجمل نشاط ابن تيمية الفكري الذي مهما قلنا فيه كان أكبر بكثير وأوسع من المستوى المحدود لأفكار أنصاره الجدد المزعومين هؤلاء) وكما تتجلى في الحروب الوهابية في الجزيرة كما يعيدون تأويلها واستبطان تجاربها المتخيلة، وأسوأ ما في هذا المبدأ هو عد الشيعة مشركين يباح دمهم، ومن البديهي طبعاً عند هؤلاء العداء لليهود والنصارى (وهو في الحقيقة ليس مبدأ اسلامياً بل هو مبدأ جاؤوا به من عند أنفسهم، اذ القرآن يقول بصراحة ان أهل الكتاب «ليسوا سواء» وان الواجب هو معاداة المعادين فقط، بينما يحبنا الله ان بررنا وأقسطنا بمن لم يقاتلنا ويخرجنا من ديارنا ويظاهر على اخراجنا!)، لكنهم يقولون أيضاً «ان الرافضة هم شر من اليهود والنصارى».

وجود هؤلاء ودورهم التخريبي الكبير أمر حقيقي وواقعي لا يجوز انكاره، وأدعو المنكرين الى فتح الانترنيت وقراءة ما يكتبه هؤلاء في منتدياتهم، ليعرف أن طائفيي العراق «السلفانيين» كانوا في حربهم الطائفية على الشيعة منسجمين مع هذه «المقدمات النظرية»، وحتى بعد الحرب الأخيرة التي شنها أولمرت في لبنان تجد فيهم من يناقش في السؤال التالي: هل يجوز الابتهاج بانتصار «اسرائيل» على «الرافضة»، قياساً على ابتهاج المسلمين الأوائل بانتصار الروم على الفرس؟ (على اعتبار أن الشيعة الذين يسمونهم بالاسم الاحتقاري «رافضة» مشركون ليسوا أهل كتاب على حين أن اليهود على كل حال أهل كتاب!).

الموقف الثاني من هذه الطائفية هو موقف يهاجمها بعنف، ولكنه «يلونّها» كما قلت في فقرة سابقة فينسب هذه الطائفية الاجرامية الى مجتمع كامل وشعوب عربية كبيرة هي جزء لا يتجزأ من نسيجنا الاجتماعي.

ليست السعودية كلها تؤخذ بجريرة هؤلاء، وليس أهل السعودية كلهم «مصبوبين» بصورة نهائية في هذا النموذج، وقد أتيحت لي الظروف أن أتعرف، غالباً عبر الانترنيت، على شباب سعوديين على أعلى مستوى من الأخلاق والتفتح الذهني والبحث عن الأفكار الجديدة المفيدة، بل لعلم الذين يأخذون مواقف عنصرية من أهل الخليج والسعودية خصوصا ويتهمونهم اتهاماً جماعياً بالجهل: السعودية وفقاً للاحصائيات هي أكبر بلد عربي مستهلك للكتب! هناك ناس تتعلم من التجارب في السعودية وهذا الشكل المتطرف من الوهابية المنتشر في أوساط شعبية ليس هو الشكل الوحيد، فالفارق كبير بين الشيخ «بن جبرين» الذي يكفر الشيعة ويدعو لخذلانهم في لبنان وغيره، والشيخ سلمان العودة أوالدكتور محسن العواجي الذي نراه في مقال أخير له ينقلب على ذلك المبدأ الوحشي الذي نسبوه الى الاسلام زوراً وأسموه «الولاء والبراء» اذ يقول: «اللهم انصر المظلومين من ذرية آدم على من ظلمهم وبغى عليهم يا رب العالمين، اللهم انا نحمدك أن نصرت الروم على الفرس يوم فرح المؤمنون بنصرك لهم فيما بعد، ونصرت السود المستضعفين في جنوب أفريقيا على من ظلمهم من البيض العنصريين من حزب (الأبارثايد)، و نصرت الفيتناميين المظلومين على المعتدين الأمريكان، فاللهم انصر كل مظلوم فوق كل أرض وتحت كل سماء فأنت رب العالمين وأرحم الراحمين ورحمتك وسعت كل شي، وما أرسلت نبيك الا رحمةً للعالمين، والخلق كلهم عيالك، وأنت القائل سبحانك (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون)».

لا يقدر هذا الدعاء حق قدره ويعرف «معناه التاريخي» الا من درس طويلاً وخبر المنطق «الوهابي الشعبي» الذي كان حتى الآن لا يعترف بمفاهيم من نوع «السود المستضعفين» أو «الفيتناميين المظلومين»، فكل هؤلاء عند الوهابية الشعبية التي تعبر عن نفسها في مواقع الانترنيت «السلفية» الكثيرة هم أعداء وفق مبدأ «الولاء والبراء» لأنهم غير مسلمين! لا فرق فيهم بين ظالم ومظلوم، ولا حتى بين من يساند العرب والمسلمين ومن يعاديهم، فسيان شارون و«ناطوري كارتا»، ولا فرق بين بوش و «راشيل كوري»!، والحديث القائل ان «الخلق عيال الله، وأحبهم الى الله أنفعهم لعياله» التي عاد العواجي بحسه السليم الى التذكير به لا يعني عند هؤلاء الا «الخلق المسلمين» بتعريفهم طبعا للمسلمين! ولعل الآية الكريمة «ليسوا سواء» هي في نظر هؤلاء منسوخة!..

تلك مجتمعات عزيزة هي جزء من ذاتنا الاجتماعية لا يجوز سلخها بجريرة اتجاه جاهل تكون عبر تاريخ معقد ساهم فيه أعداؤه المفترضون الآن بنصيب وافر، فقد نما ذلك الاتجاه المتعصب المنغلق تحت سمع العم سام وبصره، وكذلك تحت سمع البريطانيين وغيرهم وأبصارهم، وكانوا يستلطفونه، لأنه ساهم لفترة طويلة في عزل السعودية والخليج عن كل القضايا الأساسية للأمة العربية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية، ثم ألف القوة الضاربة التي أخرجت السوفييت من أفغانستان وساهمت في هزيمتهم في «الحرب الباردة».

المجتمع السعودي والمجتمعات الخليجية جزء من الذات العربية، يهمنا أمرها، ولا يجوز أن نحاول عزلها أو نبذها، وبعض من يحاولون فعل ذلك على كل حال يحاولون فعله لأسباب لا تتعلق فعلاً بكراهيتهم للتعصب، بل بكراهيتهم لكل ما له علاقة بكلمة «عربي» أو «مسلم»، لذلك لا تراهم حقاً ضد التعصب أينما كان، بل هم انتقائيون يكرهون نوعاً من التعصب ويناصرون آخر! ما يجري في تلك المجتمعات يجب على المثقف العربي المخلص أن يتابعه ويبدي آراءه النقدية فيه المبنية على ما أسميته «النقد الموضوعي»، وليس على أساس النقد غير الصحي أو المستلب.

* كاتب من فلسطين يقيم في برلين

الإسلام الصهيوني بعد الإسلام الفرنسي

د. محيي الدين عميمور*

■ منذ سنوات كان عندنا من يُقدس الفتاوى التي يصدرها فقهاء مشارقة، تصورا منه بأنها قادمة من النبع الصحيح للاسلام، وتحت تأثير من يُثترون هنا بالحج والعمرة المجانية وبالكتب الدينية، ولقد رأيت آثار تلك الفتاوى لدى شبابنا في باكستان، والتي أوصلت كثيرين فيما بعد الى غوانتانامو.

وبعض رجال الفتوى كان يفتقد عناصر الرؤية السليمة التي يتطلبها الرأي الموضوعي السديد، ومن بينها مبدأ: «العقل السليم في الجسم السليم»، الذي يعني الخلو من العاهات، وهي ابتلاء من المولى لا اعتراض عليه، لكنه قد يؤثر على موضوعية الفتوى، اذ كيف يُحرّم شيخ ضرير قيادة المرأة للسيارة وهو لا يملك تصورا لذلك، وأي معطيات يبنى عليها تنديده بسروال «الجين»، اللهم الا اذا كان يتلمس بيده مرتفعات السروال ومنخفضاته على جسد من تلبسه.

وأذكر هنا بأن قاضيا ألمانيا رفض دعوى اغتصاب فتاة اعترفت بأنها كانت تلبس «الجينز»، فاتهمها بالتواطؤ قائلا ان تمكن رجل عادي من نزع «الجينز» بالقوة أمر مستحيل.

ولنقارن بين تصرف القاضي البصير وتصرف المفتي الكفيف، ثم الى تصرفات أمثاله ممن يصدرون أحكامهم تنفيذا لتعليمات وردت ممن جاءته أوامر نقلت له عن ثالث أو رابع، وهكذا يتمّ تطويع الأحكام تطبيقا لارادة طويل العمر، كما حدث عندما فرض يوما أن يكون شهر رمضان ثمانية وعشرين يوما، وهو ما عرفناه بعد بداية الشهر بأيام بعد أن روي أن هناك من رأى الهلال في البادية، وعُرف بعد ذلك أن هناك أساطير فرضت على رجال الافتاء التراجع عن اعلان سابق ببداية شهر الصيام.

أما عن الأعياد الدينية فحدث ولا حرج، فالمطلوب أن نرفض الرؤية الفلكية والتي يسافر الرواد على أساسها الى الفضاء الخارجي ونمارس مسرحية رؤية الهلال، حيث امكانية التلاعب شبه مؤكدة.

وما ينطبق على العبادات ينطبق على المعاملات، ولن أستعرض ما عشناه جميعا بشكل أو بآخر، عندما كانت الفتاوى تجسيدا لاتجاهات سياسية حاقدة تصفي حسابات القرن الماضي مع أنظمة حكم وطنية، أو تعمل لاغراق السوق بالنفط لخفض أسعاره، ولمصلحة الغرب أولا وأخيرا.

وانهالت على الذين واجهوا الغطرسة الأمريكية الاتهامات بالشيوعية أو بالمروق عن الدين، وأقيمت في بعض المناطق الاسلامية تحت رعاية سكان القصور «محيبسات» يلتقي فيها كل من تناقضوا مع أنظمة الحكم في بلادهم، عن حق أو عن باطل، يُعلفون في ظل قاعدة: «أقعد فانك أنت الطاعم الكاسي»، وتم تسخيرهم ضد بلادهم ولمصلحة العدو الذي كنا نسميه الامبريالية، وكان هناك من يتقعر علينا قائلا ان كلمة الامبريالية بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وهكذا تم تطويع الدين لخدمة أهداف سياسية ليس عسيرا أن يسترجعها كل منا في ذاكرته، بل ان بعض الفتاوى تجاوز كل منطق معقول.

فلا يمكن أن ننسى مأساة البوسنة حيث اغتصبت مئات الحرائر من المسلمات، وعندما بدأت الأجنة تتحرك في أرحام الضحايا، اتجه البعض نحو اجهاض المغتصبات الحوامل، وطلع علينا العباقرة بفتوى تحرم الاجهاض الا اذا لم يتجاوز الحمل أربعين يوما (أي أنه حرام بعد أربعين يوما وبضع ساعات) في حين أن رجولة المؤمن كانت تقتضي اصدار فتوى تلزم شباب المسلمين بالزواج من البوسنيات المغتصبات، رحمة بهن وبأهلهن وبالاسلام نفسه.

والسؤال الذي طرح نفسه يومها : «ماذا لو كانت المغتصبة ابنة الأمير أو أخت المفتي، ألم يكن سيُرسل بها الى سويسرا أو فرنسا لاتمام الاجهاض، وبغض النظر عن أسباب الحمل ومدته؟».

وواقع الفتاوى الحالي وأهدافها تتكامل اليوم مع اغتصاب الساحة الاعلامية العربية، حيث تم توزيع الأدوار على الفضائيات المملوكة لعدد محدود جدا من المُترفين الذين ينتمون لنفس الارادة السياسية والمنطقة الجغرافية لرجال الافتاء، وحوصر المواطن العربي فكريا باتجاه واحد تعددت صوره وأشكاله لتحقق الأهداف المسطرة في واشنطن ومراكز دراساتها عبر الوطن العربي.

وهكذا فان الذي يتوجه الى الله يجد الفضائيات أو البرامج الدينية التي تقدم الداعية «المودرن» واليمني المتنسك والفقهاء المتحذلقون يدفعونه في اتجاه معين، ومن تجتذبه القضايا السياسة يجد فضائيات يُنفق عليها الكثير لاجتذاب أجمل المتبرجات لتقديم الأخبار طبقا للتوجيهات المسطرة، ولبث البرامج المسمومة التي تدمر الانتماء القومي وتخرب أسس الارتباط بالوطن، أما الرياضة فقد عشنا في الأسابيع الماضية قضية التشفير التي قيل انه دفعت فيها رشاوى كثيرة لم تكشف كل معطياتها بعد.

وسيجد محبّو الشطيح والرديح فضائيات «متعجرمة» تخصصت في أغاني «الواوا والأحْ والأوف»، تتثنى فيها الخصور وترتجف الصدور وتهتز الأرداف، وهناك خدمة SMS خاصة تمكن الشباب من مراودة المراهقات وتلقي الآهات، وكله في سبيل الله.

وعندما نتذكر أن أبناءنا في الغرب محرومون من قناة «المنار» ندرك أن قرار منعها ليس أوروبيا، ولعل مصدره هو الذي أوحي للشيخ «الغبي ـ قان» بالقول ان: «عملية حزب الله لا أساس لها في الشرع، وهؤلاء الذين يقذفون اسرائيل بالصواريخ هم أنفسهم من يقتلون السنة في العراق»، وهو ادعاء يُروّج للفتنة بين الشيعة والسنة، بعد ما تردد عن ضغوط مورست على دور الافتاء السني.

ونتأكد اليوم أن الفتاوى المنددة بكفاح المقاومة اللبنانية هو عمل مأمور مأجور يستهدف تنفيذ القرار الاسرائيلي الأمريكي 1559، كلف بالترويج له علماء الفتنة، من الامام الأكبر الى ملتح يقول في فضائية نفطية بأن: «ما يقوم به حزب الله ليس جهادا، ودعمهُ مساهمة في تخريب لبنان».

ويتضح أن الأمر كله هو تعليمات أمريكية التقت مع عقدة ايران التي لم ينجح تحالف الأعراب في تحطيمها، والتي رفضت وضعية ذل وعار قبل بها الآخرون، وهكذا يُربط كفاح حزب الله من أجل لبنان والوطن العربي كله باتجاه مذهبي محدود، يقول عنه الشيخ «عبد الملك أو عبد الأمير !! بن عزرين !!» بأنه لا تجوز نصرة هذا الحزب الرافضي (وهذا التعريف مقصور على مشارقة يتبعون مذهبا معينًا) وبأنه لا يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين (وهو تدخل معيب بين العبد وربه) ثم ينصح أهل السنة بأن يتبرؤوا منهم وأن يخذلوا من ينضمون اليهم، مؤكدا بأن الرافضة (!!) يضمرون العداء لأهل السنة، ويحاولون بقدر الاستطاعة اظهار عيوب أهل السنة (وكأن عيوب أهل السنة من أمثال علماء السلطان ومن يدفعهم ويحرضهم ليست معروفة في كباريهات مونتي كارلو وأقبية الشذوذ الجنسي والمواخير المعروفة وغير المعروفة في أوروبا والمناطق السياحية المغلقة في الوطن العربي).

ويختتم «بن عزرين» توجيهه الافتائي بالآية الكريمة : «ومن يتولهم منكم فانه منهم»، ونعترف له بأننا نتولى رجال حزب الله، ونرجو الله أن يجعلنا منهم، بقدر ما ندعوه لكي يبعدنا عن أمثاله من فقهاء السلطة ومرتزقة البترودولار.

وأنا لست شيعيا وقد ولدت وسأظل سنيا مالكيا أشعريا، ولكن قبول منطق المفتي المذكور وأمثاله هو دعوة للفتنة واخلال بأهم قواعد الدين التي تمنع تسخيره للتستر على الجرائم السياسية والأخلاقية لسلطان ضال ومُضِلّ (وفي فمي ماء) لكني أحمد الله الذي فضح أئمة الضلال، رجالاً وصحفا وقنوات فضائية، ممن يتحدثون باسم نظم سياسية تستغل بساطة المؤمنين، هنا وفي كل مكان، لكي تحقق سيطرتها على الوطن العربي والاسلامي لمصلحة واشنطن، وبالتالي لمصلحة اسرائيل.

فالوطن العربي لم يعرف الذل والمهانة الا عندما أمسك بعض أولئك بسلطة القرار فيه، وقبل ذلك كانت الأمة، المهزومة عسكريا، أكمل استقلالية وأقوى عزما وأكثر اعتزازا، لأن الهزيمة المادية، التي عاش المسلمون سابقتها في «أحُد»، لم تلد هزيمة الارادة وشلل العزيمة، ولمجرد أن الرجال آنذاك كانوا ملتزمين بالنضال في ساحات الوغى لا في النحور والأثداء والأرداف.

ولولا الحياء لدعوت بالنصر لبابا روما على رجولته، مقابل تخاذل من ينتمون لخير أمة أخرجت للناس، وهم، لحسن الحظ، لا يمثلون شعوبهم التي لم تخف رأيها فيهم، وهزأت بترديدهم صيحات الحق الزائف التي تريد بها «كوندوليسا» باطلا مؤكدا، ومنها المطالبات بسيطرة الحكومة اللبنانية على كل لبنان.

ولقد فهم شبابنا الأمر كله ولم يعُد يُخدع باللحى الكثة وأغطية الرأس المتميزة، وأدركت الأمة أن خسائر حزب الله هي أمر طبيعي لأن القضية ليست نزهة كشفية بل هي مواجهة منفردة لأعتى قوة حربية في المنطقة تحظى بدعم أقوى قوة في العالم، ومجرد الصمود المحدود هو انتصار لامحدود.

ويبقى أن أحيي موقف الحكومة اللبنانية بكل مكوناتها والشعب اللبناني بكل شرائحه، والذي أثبت فعلا أن لبنان بلد عظيم يُريد الخبثاء له أن يكون مجرد «كاباريه».

وأحيي المالكي رئيس وزراء العراق على موقفه الرجولي مع لبنان، وهو بجانب بوش، كما أحيي غضبة نواب مجلس الأمة الكويتي النبيلة على وزيرهم في القاهرة

وأحيي الموقف الأخير للرجل الكبير الملك عبد الله بن عبد العزيز آملا أن يصحح المسار.

تساؤلات

1 ـ اذا كان الهجوم على لبنان بدأ باغتيال رفيق الحريري فمن قتل رئيس الوزراء اللبناني؟

2 ـ الشركات الأمريكية التي ستكلف باعمار لبنان، هل هناك قائمة بأسمائها وبأسماء وكلائها من العرب، وهل تلقت اسرائيل قائمة بالأهداف التي يجب أن تدمرّ؟

3 ـ ماذا كان يفعل سموه في موسكو، التي كان موقفها متفهما للمقاومة اللبنانية، ولماذا يتملكني الشعور بأن هناك من يُخرب عمل الرجل الكبير، الذي عرفنا عنه صدق عروبته وعمق ايمانه وتألق رجولته؟

* وزير سابق من الجزائر

من يقتل الفلسطينيين في العراق؟

محمد الحسناوي*

■ صدرت عن الاخوة الفلسطينيين في العراق منذ احتلاله نداءات استغاثة عدة، جاء في أحدها: (ان اللسان ليعجز عن وصف حالتنا، فنحن الآن متهمون بفلسطينيتنا، محاصرون في تجمعاتنا، لا نستطيع أن نتكلم بلهجتنا الفلسطينية في أي مكان عام، لأن هذا سيؤدي الى الاعتقال، أو ربما التصفية الجسدية مباشرة ... اننا نمرّ بأقسى ظروف مرّ بها الفلسطينيون في العراق، فرغم طول فترة اقامتنا وولادة معظمنا في العراق، التي قاربت الستين عاماً، عشنا خلالها، وارتبطنا بالعراق، وتعايشنا مع شعبه، وتصاهرنا معهم، حزنا لأحزانهم، وفرحنا لفرحهم) (أبناء فلسطين في العراق 2006/4/5 موقع العودة).

في العراق، كما في الأقطار العربية، جاليات عربية، بسبب العمل أو الجوار أو الهجرات، لا سيما المضطهدين سياسياً، كالجالية الفلسطينية والجالية السورية في العراق، وأبناء الأحواز العرب ...

جاء الفلسطينيون الى العراق عام 1948م مع الجيش العراقي الذي أبلى بلاء حسناً مشهوداً في حرب فلسطين الأولى، وخلف عدداً من الشهداء ما زالت قبورهم محفوظة بالتجلة والاحترام هناك، وكان عدد المهاجرين 3000 شخص، أما الآن فيبلغ عددهم 23000 شخص وفق آخر احصائية للمفوضية العليا لشؤون اللاجئين عام 2003م، منتشرين في ثلاثة مدن (بغداد ـ الموصل ـ البصرة).

مع سقوط النظام العراقي أو اسقاطه على أيدي الادارة الأمريكية (أو دول التحالف) وبمشاركة المعارضة الشيعية وتواطؤ القطر المجاور ايران، نبتت نابتة جديدة في العراق، لم تعهد من قبل، وهي موجة العداء للعرب، كل العرب، عرب العراق، وغير العراق، ولا سيما الفلسطينيين والسوريين، تذكرنا الى حد ما بموجة الكراهية في الكويت ضد الفلسطينيين بعد اخراج القوات العراقية منها، لكن تلك الموجة انتهت وموجة الكراهية في العراق لم تنته بعد، ولا أمل في انتهائها على المدى القريب، لأن هناك عوامل متعددة تغذيها، وتسهر عليها، بدءاً من الموساد الاسرائيلي، ومروراً بالانقسام الطائفي في العراق، وانتهاء بالمطامع الايرانية في المنطقة العربية، لا سيما دول الخليج والعراق (حيث منابع النفط والثروات).

جاء في النداء المذكور: (لقد أحصينا الاعتداءات التي طالت الفلسطينيين في أماكن تجمعهم ووجودهم، فوجدنا أنها أكثر من (150) اعتداء، لا لشيء الا لأننا فلسطينيون، فقد قتل منا أكثر من (65) شخصاً، واعتقل الكثير، وبقي منهم في السجون لحد الآن ما يقارب الخمسين «الطلبة جلسوا في بيوتهم، وبعض الموظفين لم يباشروا وظائفهم، حتى باعة الخضار لا يستطيعون أن يذهبوا الى الأسواق ..حصلت تعبئة كبيرة ضد الوجود الفلسطيني، ولا يوجد أي استنكار رسمي أو فتوى من المرجعيات، بل حدثت حالات قتل خنقاً، البطالة جاوزت 80 %، وعدد العوائل الذين يسكنون في مجمع البلديات 1700 عائلة تسكن في 768 شقة من الزحام، وهناك عوائل بلا سكن، (لأن بيوتهم انتزعت منهم). وليس الخبر كالمعاينة هذا الكلام في عام 2004م، أما الآن وبعد اشتداد حملات العنف على الهوية واجتياح المساجد والأحياء وتهجير سكانها، فالأمر تضاعف، لذلك أدى هذا الوضع (الى الخروج الى الحدود والسكن في العراء خوفاً من المجهول الذي ينتظرهم، ومنهم العوائل التي خرجت الى الحدود السورية قبل أربعة أشهر، والعوائل التي تخيم الآن في طريبيل على الحدود الأردنية).

أما معاناة الاخوة الفلسطينيين على الحدود العراقية في العراء فحدث ولا حرج عن التعرض للحر والقر وغياب الماء والكهرباء والغذاء والصرف الصحي فضلا عن المدارس والمستشفيات.

بدلا من أن تكون معاناتهم على الحدود العربية مدعاة لانقاذهم تحولت الى ورقة سياسية، يلعب بها، كما يلعب بمصائر الأوطان والشعوب، كأنها مزارع وممتلكات للاعبين وحدهم، فبمناسبة زيارة وزير الخارجية الفلسطيني محمود الزهار الى دمشق في 2006/4/20 كافأه النظام السوري بالسماح لـ305 فلسطينيين أن يدخلوا سورية ليعاملوا معاملة الفلسطيني السوري، على حين قال مصدر رسمي في الخارجية السورية: (ان دمشق سمحت لفلسطينيي العراق الذين كانوا على الحدود العراقية منذ